الحرب

(تابع ما قبلهُ)

واعظم معارك اليونان كانت مع الفرس ومن اشهرها معركة مَرثون وتفصيلها ان داريوس الاوّل ملك الفرس الذي مرَّ ذكرهُ تخطَّ على اليونان لتمرُّدهم وقَتَل جنودهِ في بلادهم فجيَّش عليهم جيشًا عرمرمًا باغراء هيباس المطاغية الذي لجأ اليهِ مطرودًا من اثينا لظلمهِ وكثرة تعدّيهِ . وبعث اليهم رسلاً طافوا في بلادهم كلها يطلبون منهم ترابًا وماء علامةً على خضوعهم للفرس وطاعتهم لاوامرهم . فاطاع اكثر اليونان وارسلوا التراب والماء خوفًا من صولة الفرس الاَّ اهل اثينا وسبرطا فانهم انفوا ممَّا يناهم بذلك من الذل والخسف وامسك الاثينيُّون الرسل والقوهم في جب المذنبين وامسكهم السبرطيُّون والقوهم في بئرٍ قائلين خذوا منها ما شئتم من الماء والتراب . وكانت عادة اليونان معاملة الرسل بالكرامة والاحترام كاهل هذا الزمان وانما اذلُّوا رسل الفرس واهلكوهم حنقًا عليهم واظهارًا لاستخفافهم بكبرهم وادّعائهم . واستثنت جزائر اليونان لاوامر الفرس وبعثت بالماء والتراب الاَّ جزيرتي بوبيا ونكسوس فانهما أبتا الطاعة

ولما علم داريوس بما كان من امر الرسل ولّى داتس المادي قيادة الجيش وبعث معهُ هيباس الطاغية دليلاً واوصاهُ ان يستعبد اهل اثينا واريتريا في جزيرة بوبيا ولا يبقي على مَن لم يرسل من اليونان ماء وترابًا . فجهَّز داتس بوارج كثيرة ونزل فيها ذلك الجيش وكان على اختلاف المقدّرين لعددهِ من مئة وعشرين الفًا الى ثلثمائة الف مقاتل فهاجم بهِ مدينة اريتريا في جزيرة بوبيا واخربها واستعبد اهلها حسبما اوصاهُ مولاهُ . وسار بعد ذلك الى اتيكا فدلَّهُ هيباس على مَرثون وهي بلدة على ثلثة اميال من خليج مَرثون وعلى نحو عشرين ميلاً الى الشمال الشرقي من مدينة اثينا . وبجانب مَرثون هذه سهل طولهُ خمسة اميال وعرضهُ ميلان يحيط بهِ من جهة البر جبال وهضاب ومن جهة البحر سباخ ومستنقعات لا توطأ ويجري فيهِ جدول من الماء يقسمهُ قسمين غير متساويين ويصبُّ في خليج مَرثون المذكور . وانما اختار هيباس هذا السهل للفرس لاتساعهِ ومناسبتهِ لهجوم فرسانهم — وفرسانهم كانوا اشجع جيشهم — فلما بلغوهُ نصبوا خيامهم على الساحل وانزلوا فيهِ ما معهم من العدد والذخائر وجعلوا يستعدُّون لمنازلة اليونان

واتصل خبر قدوم الفرس باهل اثينا فارسلوا الى سبرطا رسولاً يخبرهم بذلك ويستنجدهم على الفرس فوعدهُ السبرطيون بارسال النجدة بعد صيرورة القمر بدرًا وكان القمر يومئذٍ ابن تسع ليالٍ فتخلَّفهم عن انجاد الاثينيين إنَّما كان لمنافسةٍ بينهم فجعلوا البدر عذرهم او لتفاؤلهم

بالبدر وهو من خرافاتهم . واما اهل بلانيا فأمدّوا الاثينيين بالف مقاتل مع صغر بلدهم وقلّة عددهم فصار عدد المقاتلة الاثينيين نحو عشرة آلاف عليهم عشرة قوّاد . وكان بين هؤلاء القوّاد ثلثة من اشهر اليونان واشدهم نفوذاً في سياسة اثينا الاوّل ملتيادس والثاني أرستيدس والثالث ثمستكليس . اما ملتيادس فكان رجلاً شجاعاً ذا هيبة وجاه وصولة شديد البغض للفرس والتحريض على مقاومتهم ونبذ سلطانهم . واما ارستيدس فكان يضرب به المثل في استقامة السيرة وصفاء السريرة وسلوك سبيل الحق والعدالة حتى لقّبوهُ بالعادل وكانوا يثقون به ثقة عظيمة ويعوّلون على احكامه واقواله وكان من رأيه محاربة الفرس واستقلال الامّة . واما ثمستكليس فكان رجلاً من الدهاة الفائقين في الحكمة والفطنة والذكاء واختبار الناس والاحوال يخلب العقول بحكمته ويعجب الناس بافعاله ولكنهُ لم يكن يبالي بالحق والاستقامة ولا يأنف من الخديعة والمكر لبلوغ مآربه وكان من اشد الناس رغبةً في مقاومة الفرس كسابقيه

وجعل هؤلاء القوّاد العشرة يتشاورون فيما اذا كان الانسب لهم مهاجمة العدو او انتظار هجومهِ عليهم فكان رأي ملتيادس الهجوم على العدو ووافقهُ على رأيهِ اربعة آخرون منهم الاثنان المذكوران وخالفهم الخمسة الباقون فانقسم القوّاد في رايهم قسمين متساويين ورجّح الحكم بينهما جانب ملتيادس وحزبهِ فحُكِم بمهاجمة الفرس . وكان اصطلاحهم ان كل قائد يتولى القيادة يوماً في دورهِ فاتفق حزب ملتيادس على ان بولية كلٍّ منهم مكانهُ في يومهِ . واما هو فتربّص حتى جاء يومهُ فنزل بالجيش من الجبال المحيطة بالسهل وكان جيش الفرس مصطفّاً فيهِ من طرفهِ الواحد الى الآخر وقد حلّ نخبة ابطالهم في الوسط والباقون على الجانبين الاّ ان سلاحهم كان بالنسبة الى سلاح اليونان شيئاً زريّاً تروسهم غير متقنة ورماحهم قصيرة والاكثرون لا دروع لهم ولا حراب وخير سلاحهم السيف (وكان احسن من خنجر اليونان) والقسي والسهام . واما اليونان فكانوا غائصين في الدروع مدججين بالسلاح متقنين الاصطفاف على ما سبق وصفهُ . وصفّ ملتيادس جيشهُ صفّ الفالنكس مقابل جيش الفرس ولقلة عددهِ رأى من الحكمة تقوية الجانبين وابقاء الوسط ضعيفاً خلافاً لما فعلهُ الفرس

وحمل اليونان على الفرس وهم يهتفون هتاف البشر والابتهاج فتعجّب الفرس من جسارتهم وحاروا مما شاهدوهُ من احكام اصطفافهم وعنف هجومهم الاّ انهم صدّوهم صدّ من وثق ان الكثرة تغلب الشجاعة وايقن بالنصر والفوز المبين . والتحم الجيشان واشتدّ بينهما الضرب والطعان واستظهر قلب جيش الفرس على قلب جيش اليونان فكسروهم وهزموهم وجدّوا في اثرهم وقد حسبوا ان النصر اصبح في قبضة يدهم ولم يدروا ان اليونان كسروا جيشهم من الميمنة والميسرة كسرة

هائلة وبددوا شملة تبديدًا بحسن ادارة قائدهم ودقّة حيلهِ . ولما رأى ملياديس انكسار جانبي الفرس اسرع فجمع جانبي جيشهِ معًا وهاجم قلب جيشهم بغتةً فذعرهم وكسرهم فولوا الادبار امامهُ وجدَّ في أثرهم حتى بلغوا مراكبهم فقاتلهم هناك قتالاً شديدًا من هولهِ الاطفال واغرق سبعًا من بوارجهم واستولى على محلَّتهم ففرَّ الفُرس في سفنهم مخذولين بعد ان قُتِل منهم في ساحة القتال ٦٤٠٠ مقاتل ولم يقتل من اهل اثينا غير مئة واثنين وتسعين لا تزال اطلال قبورهم ظاهرة في وسط السهل الى يومنا هذا وكان ذلك سنة ٤٩٠ قبل المسيح

وتُعَدُّ هذه الواقعة من اشهر وقائع العالم لا لطول مدتها ولا لكثرة عدد الذين تحاربوا او قتلوا او جُرحوا فيها بل لعظم النتائج التي نتجت عنها كتقلُّص ظلّ الفرس وارتفاع شأن اليونان ولا يخفى ما كان لذلك من التأثير في تاريخ العالم وتمدنهِ وعمرانهِ

ومن اشهر معارك اليونان مع الفرس معركة ثرموبلي وفيها رقي السبرطيون ذروة المجد كما اشتهر الاثينيُّون في معركة مَرَثون . وتفصيل ذلك انهُ بعد ما قُهِر الفرس في مَرَثون اراد داريوس ملكهم مهاجمة اليونان اخذًا بالثار ورفعًا للعار ولكن عصتهُ مصر فاشتغل بتأديبها عن محاربتهم الى ان مات وخلفهُ زركسيس ابنهُ فاخضع مملكة مصر ورتَّب امور مملكة بابل على ما رام وجعل همهُ محاربة اليونان والاخذ بثار ابيهِ منهم . فامر باعداد الاهبة والاحتشاد من كل اطراف البلاد مدَّة ثلاث سنين حتى اجتمع عندهُ في ساردس سنة ٤٨١ قبل الميلاد جيشٌ جرّار لم يُسمَع بمثلهِ قبلهُ ولا بعدهُ . قيل ان عدد جنودهِ بلغ الف الف وخمسمائة الف مقاتل وقيل غير ذلك حتى زعم بعضهم انهُ بلغ خمسة ملايين وهو لا يخلو من المبالغة . وجهَّز الفًا ومئتي بارجة كبيرة وثلثمائة آلاف سفينة صغيرة فيها من الجنود اكثر من ثلثمائة واربعين الفًا . وكان جيشهُ على رواية هيرودوتس المؤرِّخ مؤلفًا من اربعين امَّة فُرسًا بالدروع واشوريين بالخوذ النحاسيَّة والدبابيت الحديديَّة وبكتريين بالعمائم والقسيّ والمزاريق وهنودًا بالثياب القطنية والسهام المحدَّدة واحباشًا مرتدين جلود الاسود والنمور ومسلحين بالقسيّ والخناجر او متقنعين بجلود رؤوس الخيل تسترسل اعرافها على اعناقهم وتراكين متقنعين بجلود الثعالب وكلشيين بالخوذ الخشبية وغيرهم من القبائل والامم الخاضعة للفرس . ويخبتهم الخالدون العشرة الآلاف بالملابس الفاخرة والاسلحة الذهبيَّة كما مرَّ وثمانون الف فارس من الابطال المعدودين . وكانت البوارج ذات رؤوس نحاسيَّة تنطح ما يعترض مسيرها من السفن فتحطمهُ

فقام زركسيس من ساردس بهذا الجيش العرمرم وصنع جسرًا من الآرماث لعبور جيشهِ بوغاز الدردنيل فتمَّ حتى هاج البحر فكسر الارماث فغضب الملك غضبًا عظيمًا وامر بقتل

المهندسين وجلد البحر بالسياط . ثم بنى جسرًا آخر امكن من الاوّل وعبر بجيشهِ عليهِ فبقيت الجنود تمرُّ سبعة ايام وسبع ليالٍ لكثرتها . وحفر لبوارجهِ ترعة عند راس جبل اثوس خوفًا من تكسُّرها عندهُ كما تكسَّرت بوارجهم قبلاً فمرَّت بهِ سالمةً . واجتاز الجيش في ثراكي وهناك بعث زركسيس رسلاً الى اليونان يطلب منهم الماء والتراب علامةً على خضوعهم لهُ ولم يبعث لاهل اثينا واهل سبرطا فخاف كثيرون من اليونان وارسلوا الماء والتراب . واما اثينا وسبرطا فاجتمعتا مع سفراء اليونان في برزخ كورنثوس حيث قرَّ رأيهم على محاربة الفرس وعلى جعل الاولية لسبرطا . وزحف جيش الفرس على بلاد اليونان من الشمال فمرَّ في مكدونية ثم في ثساليا قاصدًا النزول منها الى بلاد اليونان فلم يلقَ في طريقهِ معارضًا حتى بلغ مضيق ثرموبلي وكان هناك جيش اليونان مولفًا من نحو خمسة آلاف مقاتل تحت قيادة ليونداس احد ملكي سبرطا . واختار اليونان مضيق ثرموبلي هذا لانهُ لم يكن للفرس طريق غيرهُ الى بلادهم الاَّ شعب او شعاب قليلة على الجبال الفاصلة بين ثساليا وبلادهم . وهذا المضيق واقع بين البحر من جهةٍ والجبال الشاهقة من جهة أخرى طولهُ ميلٌ او اكثر وعرضهُ متفاوت في السعة والضيق وفي منتصفهِ ينابيع حارَّة ملحة ومن ذلك اسمهُ . فحلَّ اليونان فيهِ لصد الفرس عن بلادهم لانَّ شرذمة صغيرة تصدُّ في موقع حصين مثلهُ جيشًا كبيرًا ووضعوا على الجبل شرذمةً من انصارهم الفوكيين لتمسك الشعب على الفرس اذا اهتدوا اليهِ وحاولوا ان يجتازوا منهُ الى ما وراءهم . هذا في البر واما في البحر فارسلوا بوارجهم لملاقاة بوارج الفرس وصدها عن انزال الجنود الى البر وراءه قوم ليونداس فلما رأت بوارجهم بوارج الفرس مقبلة وقد غطَّت البحر وسدَّت الآفاق بكثرتها خافت لقاءها فولَّت من امامها ولكن هاجت على بوارج الفرس العواصف فكسَّرت اربعماية بارجة منها فاشتدَّت عزائم اليونان وحملت بوارجهم على الفرس فكسبت بعضًا من بوارجهم . واراد الفرس ان يستأسروا بوارج اليونان دفعة واحدة فارسلوا نحو مئتي بارجة لتدور من ورائها فتمسي بوارج اليونان محصورةً بين بوارجهم ويطبقون عليها من كل جانب فخابت حيلتهم وكسرت العواصف كل البوارج التي ارسلوها

وبقي زركسيس مع جيشهِ الجرَّار عند اوّل مضيق ثرموبلي اربعة ايام وهو لا يهاجم اليونان مستخفًّا بهم ظانًّا انهم شرذمة صغيرة لا يسعهم الاَّ ان يولوا الادبار متى علموا بقدومهِ . وفي غضون ذلك بعث قائدًا من قوَّادهِ وقال لهُ اذهب وانظر أصحيح ما اسمعهُ من ان هؤلاء اليونان يريدون لقائي فاتى القائد اليهم ثم عاد الى سيدهِ وقال نظرت الاعداء فاذا بعضهم يمشطون شعورهم وقد صقلوا خوذهم وسيوفهم ورماحهم بجانبهم وبعضهم يمارسون رمي الرماح والحراب

وآخرون يتمرنون على استعمال السلاح ولا يلوح على احدٍ منهم علامة خوف او قلق . فاستغرب الملك جوابهُ وكاد لا يصدقهُ وبعث فاستحضر يونانيًّا كان في معسكرهِ وسألهُ عن جليَّة الامر فاجابهُ انك ضحكتَ بي ايها الملك لما قلتُ لك ان اليونان لا يسلّمون عنوًا بل انهم يقابلونك على هذا الطريق ويحاربونك كما يحاربون كل من يهاجم بلادهم والذين اعترضوك في هذا المضيق هم اشجع ابطال اليونان . فقال زركسيس وكيف لا يهابون لقائي وهم شرذمة صغيرة . قال انهم يلاقونك بقلبٍ لا يهاب الموت والاَّ فعدّني كاذبًا وعاملني معاملة الكاذبين . فبعث اليهم زركسيس رسولاً يقول سلموا سلاحكم والاَّ هلكتم فاجابهُ ليونداس قل لمولاك تعال وخذهُ . وقال لهم احدهم ان لم تسلّموا فان سهام الفرس تحجب عنكم السماء بكثرتها فاجابهُ بعض السبرطيين إذن نقاتلهم في ظل السهام

ولما رأى زركسيس ان ليس له حيلة في ردّهم عن عزمهم وان ليونداس لا يشترى بمالٍ ولا مواعيد ارسل عليهم كتيبة من الماديين وقال ايتوني بهؤلاء الطغام احياء فحمل الماديون عليهم حملةً عنيفةً طمعًا في الاخذ بثار رفاقهم في مرثون فلقيهم اليونان لقاء مستقتلٍ في سبيل الدفاع عن وطنهِ وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا وردُّوا الباقين الى مولاهم مدحورين . ثم بعث عليهم كتيبة وراء أخرى واليونان يردونها بعد ان يذيقوها الموت الاحمر حتى مرَّ على زركسيس يومان وهو يتجرَّع كاس الذل ويتلهَّب سخطًا . فارسل عليهم كتيبة الخالدين العشرة الآلاف فعادوا وقد بدَّد السيف شملهم وكسف الخزي والعار وجوههم حتى حار زركسيس في امرهِ . وكان اليونان آمنين على الشِّعب ظانين ان الفرس لا يهتدون اليهِ ولم يعلموا ان احدهم واسمهُ أفيلتس غدر بهم وخان وطنهُ طمعًا بالمال فسار بين ايدي الفرس دليلاً حتى هداهم الى الشِّعب . وكانت تلك الجبال مغطاة باشجار السنديان فلم يدرِ النوكيُّون الاَّ والفرس بالقرب منهم فاستعدُّوا لقتالهم وصدّهم عن المرور . فخاف الفرس لمَّا رأوهم يستعدُّون للقتال وظنوا انهم سبرطيُّون ولكن لما تحققوا انهم فوكيون بادروهم برمي النبال حتى شووهم وفرَّقوهم ففرَّ النوكيون الى قمَّة الجبل ومرَّ الفرس ليلاً ونزلوا وراء ليونداس وقومهِ فاصبح ليونداس واذا الفرس محيطون بهِ على طرفي المضيق من امام ومن وراء . فلما علم بذلك قال لقومهِ قد حان الأجل فلينصرف منكم مَنْ شاء وامَّا انا ورجالي السبرطيُّون فانَّا لن نبرح من ساحة القتال مراعاةً لشريعتنا وكانت شريعتهم ان لا يفرُّوا من القتال ولو ايقنوا بالموت . فانصرف من قومهِ مَنْ انصرف وبقي معهُ سبعماية من انصارهِ الثسبيين وار بعماية من الثيبيين وثلثماية من رجالهِ السبرطيين ونفرٌ من العبيد . واشتبك بينهم وبين الفرس القتال من الجانبين وفعل اليونان ذلك اليوم فعالاً يشيب منها الاطفال

فانقضّوا على الفرس انقضاض النسور وذبحوهم ذبح الغنم واخترقوا صفوفهم كالصواعق حتى دخلوا قلب جيشهم وقتلوا أخوي زركيس وعشرين الف مقاتل في وسط كتائبهم . وما زالوا يضربون ويطعنون حتى خارت قواهم وكلّت سواعدهم وقُتلوا عن آخرهم الاّ الثلثين فانهم بعد مناوشة قليلة سلموا للفرس مستجيرين مدّعين انهم اكرهوا على مقاومتهم اكراهًا

ومعركة ثرموبلي هذه اشهر معارك اليونان وبها طار ذكر ليونداس وقومه في الآفاق وتداولت السنة اليونان مدحهم خلفًا عن سلف وجعلوا يضربون المثل بشجاعتهم ويحرضون بعضهم بعضًا على التشبّه بهم والحذو حذوهم . وبعد مضي سنة على تلك الواقعة اقاموا نصبًا تذكاريًا لهم وكتبوا عليه ما معناهُ "اذهب ايها الغريب واخبر سبرطا اننا متنا في طاعة شريعتها" واقاموا تمثال اسد حيث قتل آخر مقاتل منهم تذكارًا لقائدهم ليونداس

واتفق ان اثنين من رجال ليونداس واسم احدهما يوريتس والآخر ارستوديمس كانا يومئذٍ غائبين يشكوان الرّمد فلما بلغهما تأهّب قومهما للموقعة لبس الاوّل عدته وسلاحهُ ونادى بعبدهِ قائلاً قدمني الى ساحة القتال فقادهُ وقاتل في مقدمة الرجال حتى وقع قتيلاً . واما الثاني فاشتدّ عليه الرمد واعياهُ الألم عن حضور الموقعة فرجع الى سبرطا محمّلاً فازدرى به اهل مدينته واستجبنوهُ وابوا مكالمته ومعاشرته حتى لم يكن مَنْ يعطيه جذوةً لاضرام ناره . ومرّ عليه سنة وهو يذوق غصص الموت ممّا نالهُ من الذل والخسف حتى حدثت موقعة پلاتيا فسار في مقدمة الرجال وقاتل قتالاً حيّر الانصار والاعداء وقُتل فافتدى شرفهُ بدمه

ومن اشهر معارك القدماء معركة اربيلا بين الاسكندر ذي القرنين ملك مكدونية وبين داريوس الثالث ملك الفرس . وتفصيل ذلك ان الاسكندر حارب داريوس عند مضيق إسُوس فكسر جيشهُ الجرّار ومزّقهُ كلّ ممزّق ونجا داريوس من المعركة وارسل الى اطراف مملكتهِ الواسعة يجمع الجنود من كل دانٍ وقاصٍ حتى احتشد في سنتين من الزمان جيشًا مؤلّفًا من الف الف راجل واربعين الف فارس ومئتي مركبة سائفة وخمسة عشر فيلاً جاء بها من الهند ونزل بذلك الجيش في سهل فسيح مناسب لحركاتهِ بين الزاب الاعلى والزاب الاسفل على امد عشرين ميلاً من مدينة اربيلا المعروفة اليوم باربل سنة ٣٣١ قبل المسيح

فلمّا سمع الاسكندر بحلولهِ في ذلك السهل قصدهُ بجيش لا يزيد عن الستّين الفًا في رواية بعض المؤرّخين منهم ٣٢ الفًا من الجنود الثقيلة السلاح و ١٦ الفًا من الخفيفة السلاح واربعة آلاف من الفرسان والباقون من الانصار والاعوان . وروى آخرون ان جيشهُ لم يزد عن اربعين الف راجلٍ وسبعة آلاف فارس . وتولّى الاسكندر قيادة ميمنة جيشهِ وولى قيادة الميسرة

لبرمينيو كبير قوّادهِ . وبعد ان صفَّ جنودهُ صنفًا ممتازًا عن صف مَن سبقهُ من القوّاد كما ذكرناهُ في الجزء الماضي ابتدأ القتال بنفسهِ فهاجم الفرس بفرسانهِ مهاجمة عنيفة لا تُرَدُّ فكسرهم ورأى مركبة داريوس عن بعدٍ فقصدها عالمًا انهُ اذا هزمهُ او أسرهُ او قتلهُ فاز بالنصر المبين لان الفرس لا يثبتون بعد هزيمة ملكهم . والتفت داريوس وهو محفوف بكبرائهِ واذا جنودهُ قد ولّوا الادبار من وجه العدوّ والاسكندر يجدُّ السير قادمًا عليهِ فذكر ما لاقاهُ من هول قتالهِ في معركة إسُّوس واستولى عليهِ الرُّعب فاركن الى الفرار وهربت حاشيتهُ معهُ وتبعهم مَن حولهم وسرى الرعب من فريق الى فريق في جيشهِ . واسرع الاسكندر في مطاردة داريوس وسار داريوس ينهب الارض وثار من حولهِ العجاج حتى انعقد في اطراف الافق كالسحاب وحجب الناس عن الابصار ولولا ذلك لفاز الاسكندر بهِ واسرهُ في ساحة القتال

هذا ما كان من ميمنة الجيش وقلبهِ واما الميسرة فاستظهر فيها جيش الفرس على جيش الاسكندر وضايقوهم فبعث قائدهم يستنجد الاسكندر فرجع عن مطاردة الفرس المنهزمين واسرع لنجدة جيشهِ ولكنهُ لم يبلغ محل المعركة حتى كان برمينيو قد انتصر على جيش العدو وهزمهم لانهُ لما بلغهم ان جيشهم انكسر وداريوس ملكهم انهزم انحلّت عزائمهم بعد ما ايقنوا بالنصر وجعلوا يفرُّون فئاتٍ فئاتٍ حتى ضعفوا عن مواقفة عدوهم فانهزموا شرَّ هزيمة . واتحد جيش الاسكندر كلهُ معًا واقتفوا أثر الفرس فتزاحم الفرس في الفرار حتى داس بعضهم بعضًا وهلك منهم خلق كثير . وقد اختلفت الروايات في عدد الذين قتلوا منهم في تلك المعركة فقال بعضهم ثلثمائة الف وآخرون تسعون الفًا وآخرون اربعون الفًا . واضمحلَّ ذلك الجيش كلهُ بعد هذه الموقعة ولم تقم بعدهُ للفرس قائمة فاستولى الاسكندر على بلادهم وكان ذلك نهاية صولتهم

واما القرطجيُّون فكان جيشهم كجيش اليونان الّا انهُ كان يستأجر استئجارًا او يحتشد من البلاد القاصية ومع ذلك فقد قهر جيش الرومانيين في عدة معارك تحت قيادة هنيبال البطل الشهير

واما الرومانيون فقاق جيشهم في ابّان زهوهم جيوش كل من سلفهم اتقانًا ونظامًا وقاعدة نظامهم الليجون وهو بمثابة اللواء في جيوش هذه الايام وكان يؤلف في بداءة امرهِ من ثلثة آلاف جندي من المشاة والفرسان ثم زاد عدد عساكرهِ حتى بلغ سبعة آلاف في ايام اوغسطس قيصر . وجنود كل ليجون اربعة اقسام قسم الشبّان الذين لا يزالون في شرخ الشباب ويعرفون عندهم "بالهَسْتاتي" ومحلُّهم في صدر الليجون وعددهم نحو الف وستماية يصطفُّون في ١٠ فرق كل فرقة عشرة صفوف وكل صف ستة عشر جنديًا . وقسم الكهول ويعرفون عندهم "بالبرنْسِبس"

ومحلهم في اللجيون وراء الشبّان وعددهم كعددهم وفرقهم كفرقهم . وقسم المسنّين المجرّبين ويعرفون "بالتريارين" وعددهم ستماية ومحلهم وراء الكهول وفرقهم عشر ايضاً ولكن صفوف الفرقة ستة وفي كل صف عشرة نفر فقط . وقسم الفرسان ومحلهم على جانبي اللجيون في القتال وعددهم ثلثماية وفرقهم عشر وكل فرقة ثلثون فارساً . ويلحق بكل لجيون ١٢٠٠ من الفتيان الحديثي السن وليس لهم محل معيّن وكان جلّ القصد منهم مناوشة العدو واشغاله وازعاجه لتتمكّن الاقسام المذكورة آنفاً من قضاء غرضها منه. وكان اذا انتشب القتال يباشره قسم الشبّان من اللجيون ويعضدهم الكهول ويدّهم المجرّبون حين الحاجة وهذه الاقسام الثلثة تقاتل بالسلاح الثقيل كالسيف والرمح والترس والخوذة والمغفرة والدرع لوقاية الصدر والظهر ويتدلى منها مناطق جلدية لوقاية اسفل البدن . واما الفتيان فكانوا يناوشون العدو مسلّحين بالسلاح الخفيف كالمقاليع والقسي والسهام والسيوف القصيرة والدَرَق المستديرة . وكان الجنود يقنون بحيث يتيسّر لكلٍّ منهم استعمال سلاحه كيفما اراد والدوران بحسب ما تقتضيه الاحوال . ولذلك امتاز اللجيون على كل نظام سلفه بسرعة حركات الجنود فيه واصطفافهم على ما يناسب الظروف والاحوال وتسهّل الهجوم والدفاع والحملة والارتداد عليهم حسبما تقتضيه احوال القتال. وذلك لم يكن يتيسّر في فالنكس اليونان والاسكندر قاهر الفرس وتاب اللجيون منابه

وقد امتاز سلاح الرومانيين على سلاح من سلفهم برمحهم المعروف "بالپيلوم" فهذا كان طول سنانه وعنقه الحديدية نحو ثلثي طول قناته وكان له حدبة كبيرة من الحديد عند اتصال القناة بالعنق وفي ذلك سرّ امتيازه على غيره من الرماح لان الجندي كان يرمي به عدوه فاذا تلقاه العدو بالترس نفذه والتوت عنقه لدقتها وثقل الحدبة التي فيها فيعلق بالترس ولا يخرج منه ويتعذّر على حامل الترس ادارته للدفاع به عن نفسه فيتعرّض لرماح الرومانيين وسيوفهم ونبالهم . وكان الرومانيون يتمرنون على استعمال هذا الرمح للطعن ايضاً ولتلقي الضرب بعنقه فيقضون به ثلثة امور الطعن كما بغيره من الرماح والحراب وتلقي الضرب كما يتلقونه بالتروس وإتلاف تروس الاعداء

وامتاز جنود الرومانيين على غيرهم بتمرنهم الطويل على الحرب والكفاح واحتمال المتاعب والمشاق ومناوشاتهم الدائمة ورياضتهم التامّة حتى لقد صدق يوسيفوس حيث قال ان الرياضة لهم حرب خفيفة والحرب رياضة عنيفة فالسلم والحرب عندهم سيّان ولذلك قهروا الممالك وسادوا على الشعوب واخضعوا معظم المعمورة ولولا اختلال نظامهم وفساد حالهم في آخر امرهم لما تضعضعت احوالهم ولا تقلّص ظلّ سلطانهم